الأستاذة : نورة قطوش
-أستاذ محاضر أ / جامعة المسيلة

عنوان المداخلة :- التوازنات الصوتية وأبعادها الدلالية في شعر عياش يحياوي.

يعد الإيقاع عنصرا جوهريا لا يستهان به في بناء الشعر، وإذا كان النص الشعري عبارة عن بنية كلية تتكون من الصوت والكلمة والجملة، فإن التأليف بين هذه الكلمات والجمل ينتج الصور والإيقاع، هذا الأخير الذي يعرفه" ابن منظور "بقوله: "الإيقاع من إيقاع اللحن والغناء وهو أن يوقع الألحان ويبينها"[1]. ويرى "شكري عياد" :"أن الإيقاع حركة منتظمة والتئام أجزا ء الحركة في مجموعات متساوية ومتشابهة في تكوينها شرطا لهذا النظام"[2]، وبالتالي فإن للإيقاع وظيفة مهمة داخل بنية النص، وله قدرة على التأثير في نفسية المتلقي.

ومعلوم لدينا أن الشعر بنية كلية قوامها الصوت، والكلمة، والجملة، وأن التأليف بين الكلمات ينتج الصور والإيقاع، ولعل الجزء الكبير من قيمة الشعر الجمالية يرجع إلى صورته الموسيقية،
وسأحاول فيما يلي دراسة الإيقاع الداخلي في شعر "عياش يحياوي" من جناس، وتكرار ،وتصريع .وما لها من دور في الحفاظ على التوازنات الصوتية للقصيدة.
إذن فالتوازنات الصوتية متنوعة بين تجنيس وتصريع وتصدير، وتكرار للحرف وتكرار للكلمة. وهذا ما سيتم الكشف عنه من خلال دراسة لبعض النماذج المتنوعة من شعره.

1-التكرار:

يعد التكرار من الظواهر الأسلوبية التي تستخدم لفهم النص الأدبي،وقد درسها البلاغيون العرب وتنبهوا إليها ،عند دراستهم لكثير من الشواهد الشعرية والنثرية،أما إذا أردنا تعريف مصطلح "**التكرار**" لغة،فقد ورد في لسان العرب:"التكرار بفتح التاء:الترداد والترجيع،من كرّ ،يكر، كرّا وتكرارا،والكر الرجوع على الشيء ،وكرر الشيء ، وكركره، أعاده مرة أخرى[3]

أما في الاصطلاح فهو يعني تكرار الكلمة أو اللفظة أكثر من مرة ، في سياق واحد ،وغالبا ما يكون الهدف منه التوكيد، والتكرار لا يقوم فقط على مجرد تكرار اللفظة ،وإنما على ما تتركه هذه اللفظة من أثر انفعالي في نفس المتلقي ، وفي الوقت نفسه يعكس جانبا من الموقف النفسي للكاتب، والذي لا يمكن

فهمه إلا من خلال التكرار داخل النص الشعري، فكل تكرار يحمل في ثناياه دلالات نفسية وانفعالية مختلفة.

لهذا يعد التكرار أحد الوسائل والأدوات الجمالية التي تساعد الشاعر على تشكيل موقفه وتصويره.كما يلجأ الشاعر إلى التكرار بوصفه وسيلة من الوسائل التي تعتمد على التأثير الذي تحدثه الكلمة المكررة في نفس المتلقي.أما الدوافع الفنية للتكرار"فثمة إجماعا على أنه يحقق توازنا موسيقيا،فيصبح النغم أكثر قدرة على استثارة المتلقي والتأثير في نفسيته"[4] وقد يكون الدافع وراء التكرار هو التركيز على كلمات محددة للفت الانتباه إليها ،فيبرزها الشاعر ويعطيها أهمية أكبر.

لأن التكرار في حقيقته إلحاح على جهة هامة في العبارة يعنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها.كما أن التكرار "يضع في أيدينا مفتاحا للفكرة المتسلطة على الشاعر وهو بذلك أحد الأضواء اللاشعورية التي يسلطها الشعر على أعماق الشاعر،فيضيئها لنطلع عليها.

وبذلك يمكن القول أن التكرار يساعد المتلقي في الكشف عن الدلالات المتخفية، وبالتالي الكشف عن التجربة الشعورية لدى الشاعر.

وللتكرار أنماط عديدة سواء أكان ذلك على مستوى الحرف، أو الكلمة ،أو الجملة،والتكرار بأنماطه المختلفة " ثمرة من ثمرات قانون الاختيار والتأليف ، ومن حيث توزيع الكلمات وترتيبها ، بحيث تقيم تلك الأنساق المتكررة علاقات مع عناصر النص الأخرى"[5] ولا يتحقق التكرار على مستوى واحد ،بل على مستويات متعددة ، مثل تكرار الحروف ،والكلمات ،والجمل والعبارات.وهذا ما سنحاول تتبعه في القصيدة.

1- تكرار الحرف:

يعد تكرار الحرف المنطلق الأول في الإيقاع المتحرك،لأن إعادة أصوات معينة يجعل من النص يحفل بالإيقاعات المتنوعة.

فالصوت اللغوي يعد أهم الركائز الأساسية لتبليغ المعنى،كما أن تكرار أصوات معينة غالبا ما يأتي دون قصد من الشاعر،لهذا نلاحظ تكرار حروف دون غيرها،لكنها تخفي دلالات معينة ترتبط بموضوع النص" فالأصوات تلعب دورا في إبراز مقاصد الشاعر "[6] .وبهذا يكون الصوت هو المفتاح الذي نلج من خلاله

عالم الكلمة،ثم عالم النص الشعري، ومن صور تكرار الحروف الواردة في القصيدة محل الدراسة" نجد تكراره لحرف الاستفهام ،وهذا ما يبدو جليا في قوله:

يا ولد البن من أنت؟

أين ثيابك؟ أين ملامح وجهك؟

أين النهار بن شمس الظهيرة؟ [7]

حيث كرر الشاعر حرف الاستفهام "أين" وهذا لينقل لنا صورة عن حالة الضياع التي يعانيها،ويجعل المتلقي يشاركه هذه الحالة،وبهذا فالتكرار يشكل "نسقا تعبيريا في بنية الشعر التي تقوم على تكرير السمات الشعرية في النص الشعري بشكل تأنس إليه النفس التي تتلهف إلى اقتناص ما وراءه من دلالات مثيرة".

كما أنّ هذا التكرار لا يبعث الملل في نفس المتلقي،بل أثر فيه،وأضفى على القصيدة نغما موسيقيا لأن تكرار صوت معين من شأنه أن يعطي جرسا صوتيا فريدا إلى جانب الأصوات السابقة أو اللاحقة المكونة للفظ.

1- -تكرار الكلمة:

يعد تكرار الكلمة من أبسط أنواع التكرار وأكثرها انتشارا[8] ،وهذا ما تؤكده نازك الملائكة في كتابها "قضايا الشعر المعاصر"، وبناء عليه يبدو تكرار الكلمة واضحا جليا في قول الشاعر:

أحادث ذرية من سراب

وأحصنة من سراب

وأوسمة من سراب[9]

كرّر الشاعر كلمة "سراب" لينقل لنا صورة عما يعانيه وحيدا في غربته،

-وقد ورد هذا النوع من التكرار في شعره العمودي ومن أبرز الأمثلة على ذلك قصيدته"أيها السائرون في رحلة الضاد" حيث يقول فيها:

شاعر من معاقل الكبر ثائر موغل في الهوى مداه الهادر

شاعر يدم الزمان ويبن لبني الفجر في الحياة المصائر

شاعر هام بالعروبة طفلا وارتدى شعره هواها الزاهر

شاعر أمطرت رؤاه ضياء خضل الوعد في وجود بائر[10]

الملاحظ أن الشاعر كرر كلمة"**شاعر**" في بداية كل سطر وهدفه تأكيد المعنى،كما أن هذا التكرار المتتالي لكلمة شاعر قد أضفى على القصيدة نعما موسيقيا يأنس له النفس.

كما يظهر تكرار الكلمة من خلال بتتبع نمطين من هذا التكرار،وهما تكرار المجاورة، وتكرار الاشتقاق.

–ما أن هذا النوع من التكرار قد ورد بشكل واضح في قصيدته"تأمل في وجه الثورة" وهي القصيدة التي حمل الديوان عنوانها.حيث يقول الشاعر:

هي القرى يتعادى في مخايلها فداؤهم...فقضي الليل عندهم

هي الجبال تغاديها بعودتهم ظنونها فيحن النبت والأكم

هي الكهوف تناجي بعضها سحرا فتشرئب...وتعلو أفقها الديم

هي البنادق لازالت تعانقها رؤى الألي اكتسحوا الظلماء وانتقموا[11]

حيث كرر الشاعر الضمير"هي" هي الجبال، هي القرى ،هي البنادق،وهدفه التأكيد على بسالة وصمود المجاهدين أثناء الثورة التحريرية واستماتتهم في القتال من أجل وطنهم.فبقيت تلك الكهوف والجبال شاهدة على نضالهم .

أ– تكرار الاشتقاق: وهذا النوع من التكرار يكون بين الكلمات المشتقة من الجذر اللغوي نفسه،والتي ترجع إلى أصل معجمي واحد،والاشتقاق يعد من الآليات التوازنية التي حظيت باهتمام الشعراء.يقول الشاعر:

ومال العروبة مالي

وثوب العروبة ثوبي

ونعل العروبة نعلي[12]

حيث يظهر تكرار الاشتقاق بين الكلمات : نعل/نعلي،.ثوب/ثوبي،مال/مالي ولا يخفى

ما أضفاه هذا النوع من التكرار من أثر جميل في نفس المتلقي،وما أضافه على المستوى الإيقاعي للقصيدة.

ب–**تكرار المجاورة:**

وهذا النوع من التكرار يقوم على أساس التجاور بين الألفاظ المكرّرة "بحيث يتردد في البيت لفظتان ،كل واحدة منهما بجانب الأخرى،أو قريبة منها،من غير أن تكون إحداهم لغوا "[13].ومثال ذلك قول الشاعر:

ويفجعني طرق باب،وباب،وباب[14]...

الملاحظ تكرار كلمة"باب" ثلاث مرات متتالية وهذا التكرار لم يكن دون هدف فالشاعر يريد التأكيد على حالته النفسية،وما يعانيه من ألم في غربته.

كما أن هذا التكرار ترك أثرا جميلا في نفس المتلقي تمثل في ذلك الإيقاع الداخلي الذي يحدثه تكرار الكلمات المتجاورة.

والأمر نفسه يظهر في قوله:

أموت، أموت وليس وراء الممات مزيد[15]

ـــ تكـــرار العبـــارة:

وهذا النوع من التكرار يرد في صورة جملة تحكم تماسك القصيدة "فتسهم هندسيا في تحديد شكل القصيدة الخارجي ،وفي رسم معالم التقسيمات لأفكارها" ،حيث"يلي تكرار الكلمة تكرار العبارة،وهو أقل في الشعر المعاصر،وتكثر نماذجه في الشعر الجاهلي"[16]

ومن صور تكرار العبارة الواردة في القصيدة قول الشاعر:

أموت هنا في الفراغ الكبير

وبيتي الفراغ الكبير

وخبزي الفراغ الكبير[17]

حيث كرّر الشاعر عبارة" الفراغ الكبير" ثلاث مرات وهدفه تأكيد المعنى كما أنه يعكس الحالة الشعورية للشاعر وما يعانيه من وحدة وألم.

ـ من خلال ما سبق يمكن القول أنّ صور التكرار التي تم تقديمها قد عكست لنا حساً جماليا ،يلتقي فيه كل من الشاعر والمتلقي، حيث جسّد الشاعر أفكاره، ومشاعره،في صور شعرية رائعة، وكان للمتلقي دورا مهما في تأويلها والكشف عن دلالاتها، وقد شكّل التكرار أحد مظاهرها.

-2-الجناس:

الجناس من فنون البديع اللفظية، ومن أوائل من فطنوا إليه عبد الله بن المعتز، فقد عده في كتابه ثاني أبواب البديع وهو يعرفه بقوله: "التجنيس أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في شعر وكلام"[18]، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها، أما ابن رشيق فيعرفه بقوله: "أن تكو اللفظة واحدة باختلاف المعنى"[19]. ولقد اهتم علماء البلاغة بهذه الظاهرة الموسيقية،

كما ان الشواهد الشعرية في الأدب العربي قديمة وحديثة غزيرة، مما يدل على اهتمام الشعراء بهذا اللون من ألوان البديع، ويرى إبراهيم أنيس "أن كثرة هذه الشواهد الشعرية دليل على حب العرب لهذا النوع من الموسيقى الكلامية"[20].

-جناس التصحيف:

المصحّف هو ما اتفقت كلماته في شكل الحروف واختلفت في النقط والدلالة.

ومن الأمثلة على ذلك قول الشاعر:

لها البرد والسرد والنهد والشهد

لها الدود والجود

لها ....مالها

ولي متعة الموت قهرا[21]

حيث يظهر هذا النوع من التجنيس بين الكلمات التالية:البرد/ السرد، النهد/ الشهد، الدود /الجود.وهذا ما أدى إلى خلق نغم موسيقي عذب تأنس له النفس.

-جناس القلب:

المقصود بجناس القلب هو ما تساوت حروفه في الوزن والعدد، وتخالف ركناه في الترتيب،ومن الأمثلة على ذلك قول الشاعر:

أرى في المدينة شيطانها

وشواطئ ترسل في الليل أشطانها[22]

الجناس المقلوب هنا ورد في "شيطانها" و"أشطانها"، وهذا ما يدل على جمال اللغة العربية، فإبدال حرف مكان حرف يؤدي إلى تغيير المعنى، أما هنا فحدث قلب للحروف، تبعه تغيير المعنى أيضا.

برغم النقص العددي بين كلمتي "شيطانها " و"أشطانها" إلا أن المتلقي يلمس نغما موسيقيا عذبا، نتيجة التقارب الشكلي بينهما واختلافهما في حرف واحد فقط.

إذن ومن خلال ما سبق يتبين أن التجنيس قام بوظائف متنوعة، وفجر دلالات عميقة فكان دوره بارزا في خلق نوع من التوازن الصوتي.

-التصريع:

-يعد التصريع ميزة صوتية وبلاغية استدعت اهتمام كثير من الشعراء والنقاد. والتصريع عنصر جوهري يساعد في نسج النظام لعام للقصيدة، وعرفه ابن رشيق بقوله : " فأما التصريع فهو ما كانت عروض البيت فيه تابع ة لضربه ، تنقص بنقصه وتزيد بزيادته "[23].
التصريع إذن هو أن يتوخى الشاعر تحقيق التسوية بين عروض البيت الشعر ي وضربه، من حيث الوزن والقافية، والتصريع ظاهرة بلاغية صوتية متصلة بالاستهلال، حيث يمثل البيت الأول من كل قصيدة المفتاح الذي يلج ن خلاله القارئ عالم النص، ولأهمية البيت الشعري .
قال عنه ابن رشيق : والبيت من الشعر كالبيت من الأبنية، قراره الطبع وسمكه الرواية، ودعائمه العلم ، وبابه الدراية، وساكنه المعنى "[24]
وقد ورد التصريع في شعر "عياش يحياوي" خاصة في قصائده العمودية منها قوله في قصيدة بعنوان:

"أيها السائرون في رحلة الضاد" حيث يقول :

شاعر من معاقل الكبر ثائر موغل في الهوى مداه الهادر[25]

تمثل التصريع في عروض البيت **"ثائر "** التابع لضربه **"الهادر"**، فكلاهما ينتهي بحرف الراء، مما حقق تناغما موسيقيا بين صدر البيت وعجزه.

والأمر نفسه نجده في قصيدته **" الضاد بين الليل والإعصار"**، والتي يقول في مطلعها:

لغتي الضاد وموالي الشمم ومقامي في شماريخ القمم[26]

تمثل التصريع في عروض البيت "الشمم" التابعة لضربه **"القمم"** حيث أن تكرار حرف " الميم" أضفى على البيت الشعري لونا من العذوبة والسلاسة في التعبير.

وفي هذه الحالة يعد التصريع "شكلا من أشكال التوازي بما يشكله من نغمة موسيقية متكررة إذ تصبح نهاية الشطر الأول مشابهة لنهاية الشطر الثاني"."فالتصريع إذن عنصر مهم في البنية الإيقاعية للقصيدة.

-خاتمة:

من خلال ما سبق ومن خلال دراسة الإيقاع الداخلي لعدد من قصائد الشاعر "عياش يحياوي"

خاصة قصائده من الشعر الحر التي وردت في ديوانه"قمر الشاي"،بالإضافة إلى عدد من قصائده العمودية والتي ووردت في ديوانه"تأمل في وجه الثورة"

يتبين لدينا أن الشاعر قد تفطن إلى أهمية النغم الموسيقي في القصيدة ،وما يتركه من أثر جميل في نفس المتلقي، فأعطى الشاعر أهمية للجانب الموسيقي في شعره،خاصة ما تعلق بالإيقاع الداخلي،

فجاء شعره حافلا بصور التكرار المختلفة ، من تكرار الحرف، وتكرار الكلمة، وتكرار العبارة ،كما أنّ التكرار بأشكاله المختلفة،قد عمل على تقوية الجرس الموسيقي للقصيدة، من خلال ذلك الإيقاع الداخلي الذي يحدثه التكرار وذلك الأثر الجميل الذي يتركه في نفس المتلقي، كما لا يخفى ما له من دور في تأكيد المعنى .

كما كان للتجنيس" الجناس"، والتصريع دورا مهما في الحفاظ على التوازنات الصوتية للقصيدة .

.

-قائمة المراجع:

1- إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ ،مكتبة الأ نجلو المصرية،د ت

2-ابن رشيق -العمدة في صناعة الشعر ونقده ، تح :محمد محي الدين عبد الحميد ، ج1 القاهرة . الأكاديمية ،مكتبة

3--شكري عياد: موسيقى الشعر العربي،دار المعرفة القاهرة،ط1973،1

4- عبد العزيز عتيق:علم البديع،دار الآفاق العربية،القاهرة،2004،

5- عدنان حسين قاسم:الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر،الدار العربية للنشر والتوزيع،2001،.

6- عياش يحياوي،قمر الشاي،ط1،أبو ظبي ،2008 .

7-- عياش يحياوي: تأمل في وجه الثورة،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983.،

8-محمد طالب:عزف على وتر النص الشعري،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق، سوريا (د ط)،2000،.

-9 محمد طالب:عزف على وتر النص الشعري،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق، سوريا (د ط)،2000،

10- محمد فتوح :الحداثة الشعرية،الأصول والتجليات،دار غريب القاهرة ،مصر،د ط، 2007 .

11- محمد عبد المطلب:البلاغة والأسلوبية،مكتبة لبنان ناشرون،الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان،ط1994،1،.

12- ابن منظور :لسان العرب، مج3،دار إحياء التراث العربي،بيروت،لبنان،ط1،(د ت)

-الهوامش والإحالات:

[1] - ابن منظور :لسان العرب، مج3،دار إحياء التراث العربي،بيروت،لبنان،ط1،(د ت)،ص969.

[2] -شكري عياد: موسيقى الشعر العربي،دار المعرفة القاهرة،ط1973،1،ص41

[3] – ابن منظور:لسان العرب،مادة(كرر)، ، ص135

[4] – عدنان حسين قاسم:الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر،الدار العربية للنشر والتوزيع،2001،ص218

[5] -عدنان حسين قاسم: المرجع السابق، ص219

[6] – محمد طالب:عزف على وتر النص الشعري،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق، سوريا (د ط)،2000،ص52

[7]– عياش يحياوي،قمر الشاي،ط1،أبو ظبي ،2008 ص 17

[8] – ينظر:– محمد فتوح :الحداثة الشعرية،الأصول والتجليات،دار غريب القاهرة ،مصر،د ط، 2007 ،ص347.

[9]– الديوان ص18

[10] - عياش يحياوي: تأمل في وجه الثورة،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983.،ص33.

[11] –نفسه،ص45.

[12] عياش يحياوي: قمر الشاي. ص20

[13] – محمد عبد المطلب:البلاغة والأسلوبية،مكتبة لبنان ناشرون،الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان،ط1994،1،ص301

[14]– عياش يحياوي: قمر الشاي ص19

[15] –– نفسه، صا9

[16] نازك الملائكة: قضايا الشعر العاصر،ص 233

[17] – عياش يحياوي: قمر الشاي ،،ص20

[18] – نقلا عن عبد العزيز عتيق:علم البديع،دار الآفاق العربية،القاهرة،2004، ص151

[19] ابن رشيق: العمدة –ج1،ص321

[20] – إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ ،مكتبة الأ نجلو المصرية،ص202

[21]– عياش يحياوي: قمر الشاي ،ص18–19

[22] – نفسه ص18

[23] –ابن رشيق العمدة،ح2،ص173.

[24] – المرجع نفسه، ص ن

[25] – عياش يحياوي: تأمل في وجه الثورة،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983.،ص33.

[26] – المرجع نفسه،ص07.